مع الأدباء
الدكتور محمد مندور والنقد ...

تقديم فاروق شوشه

السؤال الاول :

بدأتم حياتكم بدراسة الاداب والقانون معا .. وحصلتم من الجامعة على ليسانس في الاداب والحقوق معا ..

لماذا التزمتم بعد ذلك الخط الادبي وحده ؟ وهل أفدتم كناقد من هذه الدراسة القانونية ؟

الاجابة :

الواقع ان اختياري عضوا في بعثة كلية الاداب وسفري الى السوربون بباريس عام ١٩٣٠ هو الذي وجه خط حياتي الرئيسي نحو الادب مع انني كنت افضل اول الامر ان أحترف القانون ، وان يكون الادب مجرد هواية . وكان من الممكن بحكم تفوقي في ليسانس القانون ايضا ان ألتحق بالسلك القضائي ، ولكن تعييني عضوا في بعثة الاداب تم بمجرد حصولي على ليسانس الاداب عام ١٩٢٩ ، وان يكن السفر قد تأجل عاما اعتبرنا فيه بعثة داخلية بكلية الاداب نفسها ، لتعلم اللغة الفرنسية التي سنتلقى بها دروسنا في باريس . وليسانس القانون لم احصل عليه الا في سنة ١٩٣٠ لان مدة الدراسة بكلية الحقوق كانت أطول من دراسة الاداب بعام .

وعند عودتي من البعثة في سنة ١٩٣٩ عينت مدرسا بكلية آداب القاهرة لمدة عامين ، ثم مدرسا بآداب الاسكندرية لعامين اخرين، وهذا العمل حدد خط سيري في الحياة وهو دراسة وتدريس الاداب ونقده . وبعد استقالتي في سنة ١٩٤٤ للعمل في الصحافة وميادين الحياة الحرة كانت مهنة التدريس قد علقت بروحي فلم أتخل عنها حتى اليوم في الكليات والمعاهد العليا كأستاذ منتدب .

ومع ذلك فقد نزعت نفسي الى الاستفادة في حياتي العملية من دراساتي القانونية في مصر والخارج ، فعملت محاميا في سنة ١٩٤٨ لمدة اربع سنوات ، ولكني أحسست ان مهنة المحاماة لا تشبع نزعاتي الثقافية ولا تكاد تتسع للاستفادة من كل الثقافة القانونية التي حصلتها في القاهرة اولا ثم في باريس ثانيا ، حيث واصلت تلك الدراسة وبخاصة في ميادين الاقتصاد السياسي والتشريع المالي . فمعظم القضايا تحتاج الى مهارة في الاجراءات اكثر مما تحتاج الى ثقافة قانونية واسعة ، والمرافعات تكاد تقتصر على مناقشة وقائع واحداث وهكذا رأيتني اعود الى حقلي الاول : حقل القراءة في كتب الادب والفن والثقافة العامة ، والكتابة فيه سواء في الصحف والمجلات أم في الكتب ، فضلا عن القيام بالتدريس بصفة مستمرة .

وأما عما أفدت كناقد من دراساتي القانونية ، فأحب ان اقول ان الدراسة القانونية تكاد تشبه في قدرتها على تنظيم التفكير ودقته ووضوحه الدراسات الرياضية ، وبذلك تنمي عند الناقد القدرة على الشرح والتعليل واستقصاء الاحتمالات والترجيح بينها ، كما انها تزود الناقد بمعرفة واسعة بحياة المجتمع وعلاقاته . وما القانون الا احكام على هذه العلاقات من وجهة نظر المجتمع ، والادب كما هو معلوم يدرس هو الاخر علاقات الحياة ، ولا بد ان تكون له وجهة نظر في الحكم عليها من الوجهة الانسانية والاخلاقية التي قد لا يحكم عليها القانون ، ويترك هذا الحكم للاخلاق والمواضعات والقيم الانسانية العامة ، وفي اعتقادي انني قد افدت من دراسة القانون مزيدا من الدقة والوضوح والتزام الروح العلمية والتحكم في شطحات النفس بقدر المستطاع حتى لا يتسرب الهوى الى نقدي .

السؤال الثاني :

لو حاولنا تتبع نموكم الفكري خلال حياتكم المديدة .. ما المعالم الرئيسية لهذا النمو ؟

الاجابة :

هذا النمو قد ابتدأ قطعا منذ مرحلة تعليمي الثانوية ، ففي هذه المرحلة انتقلت حياتي انتقالا كبيرا اذ تخلصت من مدرسة الالفي الابتدائية بمنيا القمح ، حيث كانت قسوة المدرسين والناظر وضربهم المبرح يعوق نموي الفكري بل يشله ، وما ان التحقت تلميذا داخليا بمدرسة طنطا الثانوية حتى احسست بملكاتي تأخذ في التفتح ورغبتي في التحصيل تزداد ، ومنذ تلك المرحلة ابتدأ تفوقي في الدراسة تفوقا أغراني بالمطالعات الخارجية وبخاصة اثناء الاجازات الصيفية ، حيث كنت افرغ لكتب الادب أطالعها في لذة وسط الحقول ، ولا زلت أذكر كيف كانت تهزني عندئذ كتب مصطفى لطفي المنفلوطي بعاطفيتها المتدفقة . بل وأخذت اتصل منذ تلك المرحلة بكنوز الادب العربي القديم « كالكامل » للمبرد ، و « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، ثم كتاب «الاغاني » موسوعتنا الادبية الكبرى .

وجاءت خطوة النمو التالية في رحلة الجامعة المصرية بالقاهرة ، وهي مرحلة اعتبرها مرحلة توجيه وتشويق للثقافة العالمية ، ولا اظن اننا وجدنا فيها ما يشبع كل رغباتنا التي تفتحت وانما وجدنا بعضا من ذلك خارج الجامعة من المقالات الثقافية التي كانت تنشرها عندئذ مجلات كبيرة أخشى ألا يجد شبابنا اليوم مثيلا لها ، مثل « السياسة الاسبوعية » كما وجدنا بعضا اخر في عدد من الكتب والاعمال الادبية التي كانت تترجم عندئذ على قلة ، ومع كل ذلك ، فواجب الصدق يقتضي أن أقرر ان اتصالي بالثقافة العالمية ، ومحاولة تعمقها وتشرب روحها ومفاهيمها لم يتم على الوجه الاكمل الا عندما اتيحت لي فرصة السفر الى باريس واتقان اللغة الفرنسية على نحو يجعل منها اداة تحصيل قوية مسعفة . وحتى اليوم لا زلت اعتقد بضرورة اتقان كل مواطن مثقف للغة عالمية واحدة على الاقل . فبهذه اللغة يستطيع ان يقرأ أمهات المؤلفات التي تكتب بجميع لغات العالم لان اصحاب كل لغة عالمية كبيرة يسارعون الى ترجمة أمهات ما ينشر بكافة اللغات الاخرى ، وان كنت الاحظ لحسن الحظ اننا قد اخذنا نفطن الى أهمية الترجمة الى العربية ومنها على نطاق واسع ، وطربت أيما طرب عندما قرأت بين قرارات المؤتمر العام لاتحادنا القومي انشاء مؤسسة تختص بالترجمة .

واما عن مراحل نموي الفكري بعد عودتي من البعثة فيمكن

اجمالها في مرحلتين : مرحلة أكاديمية ، وهي مرحلة تدريس بالجامعة، تأثرت فيها بنوع خاص بثقافتي اليونانية القديمة والفرنسية التي حصلتها بباريس ، وحاولت الافادة منها في دراستي لادبنا العربي القديم على نحو ما هو واضح في كتابي عن « النقد المنهجي عند العرب » ثم في ابحاثي في الادب العربي الحديث وقضايا الادب ومناهج دراسته على نحو ما هو واضح في كتابي في « الميزان الجديد » فضلا عن كتابي العزيز على نفسي « نماذج بشرية » ، وكانت الخطوة الكبيرة الحاسمة في حياتي ونموي الفكري هي خطوة استقالتي من الجامعة وعملي في الحياة العامة حيث عرفت تلك الحياة معرفة مباشرة وثيقة .

السؤال الثالث :

عند عودتكم من الدراسة في اوروبا كنتم من المتحمسين للنقد التأثري على نحو ما يتضح في كتابيك الاولين « النقد المنهجي عند العرب » و « في الميزان الجديد » فضلا عن كتابك « نماذج بشرية » الذي يتضمن تأثراتك بالشخصيات الادبية العالمية التي خلقها عمالقة الادب في مختلف اللغات .. ثم أخذتم تتطورون بعد ذلك نحو النقد الموضوعي .. واخيرا انتهيتم الى ما يمكن أن يسمى بالنقد المتأثر بالواقعية الاشتراكية ..

ما هي في رأيكم أسباب هذا التطور ؟ وما مراحله ؟

الاجـــابة :

عند أول عودتي من الخارج كنت غارقا في الدراسات الاكاديمية وكانت الاداب الكلاسيكية وبخاصة اليونانية القديمة والفرنسية قد بهرتني بجمال قوالبها الفنية وتعبيرها البياني . ومنهج تدريس الادب في الجامعات الفرنسية يقوم على ما يسمونه بشرح النصوص فكنا خلال السنوات التي قضيتها بالسوربون نستمع الى اساتذتنا الكبار وهم يضعون أصابعهم على مواضع الجمال في كل تعبير ، ففرسوا بذلك في نفوسنا البحث عن الجمال في تفاصيل العمل الادبي ، حتى رسخ في نفوسنا ان الادب فن جميل قبل كل شيء ، وان القيم الجمالية هي التي تضمن للعمل الادبي الخلود ومن الواضح ان التذوق الشخصي هو السبيل الى ادراك مواضع الجمال عن طريق الاحساس بها وهذا هو مضمون المذهب التأثري في الادب لان الادب هو ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته احساسات جمالية وانفعالات عاطفية ، والمذهب التأثري لا بد منه في كل نقد لان اي تحليل موضوعي لا يمكن ان يغني عن التذوق الشخصي .

وعلى اساس هذا التكوين النفسي الخاص صدرت عن المذهب التأثري في كتبي الاولى مثل « النقد المنهجي عند العرب » الذي فضلت فيه بين نقاد العرب القدماء التأثريين من امثال : الآمدي والقاضي الجرجاني في كتابيهما « الموازنة بين الطائيين » و « الوساطة بين المتنبي وخصومه » بينما أنكرت جدوى اصحاب القواعد والمبادىء البلاغية والبديعة كقدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري وغيرهما ، ثم كتابي « في الميزان الجديد » الذي دافعت فيه دفاعا حارا عن المذهب التأثري في النقد من الناحية النظرية ، كما تناولت بنفس المنهج عددا من شعرائنا وأدبائنا العرب المحدثين ، وتحمست حماسة حارة لما سميته عندئذ بالشعر المهموس ، وكذلك الامر في كتابي الثالث « نماذج بشرية » حيث سجلت ما أوحت به الي النماذج البشرية الخالدة مثل : هاملت ـ فاوست ـ فيجارو ـ بياتريس ـ أوليس ـ دون كيشوت وابراهيم الكاتب وغيرها . ولهذا المنهج النقدي انصاره الخالدون الذين تتلمذت عليهم من أمثال جوليميتر وايميل فاجيه اللذين كنت أجد في كتبهما النقدية متعة روحية وجمالية لا نظير لها ترفع هذه الكتب الى ارقى مستويات الادب الانشائي الخلاق .

واما بدء تطوري نحو النقد الموضوعي فمن الممكن تحديده على وجه دقيق باستقالتي من الجامعة ونزولي من برجها العاجي الى سفح الحياة صحفيا ومحاميا خالط الناس وبخاصة عامتهم وأحس بمشاكلهم ورثى لها فانفعل بها وأخذ يحس بانه لا ينبغي ان يقتصر الادب والادباء وهم اكثر الناس حساسية على التمتع بالقيم الجمالية في الادب وتغليبها على ما سواها ، وكان الادب متاع الخاصة وحدهم ، فخرجت عن انانيتي لاتطور شيئا فشيئا نحو الجماعية ومشاركة الناس مآسيهم، وساعد على ذلك اهتمامي بالمسائل العامة في الصحافة والبرلمان ، وادراكي لمواضيع شكوى شعبي ، وفي نفس الوقت اخذت قراءاتي تتسع وتتصل بمذاهب الفكر والاجتماع الجديدة كالمذهب الاشتراكي الواقعي والادب الذي صدر عنه ، وهكذا رأيتني أبحث في الاعمال الادبية التي أعرض لدراستها ونقدها عما تقدمه للبشر من خير ، وعن دورها في تطوير الحياة نحو ما هو افضل ، او على الاقل تهيئة النفوس للعمل لتحقيق ما هو افضل بحيث أصبحت اعتقد ان القيم الجمالية ما هي الا الغلاف الحلو الذي يجب ان تغلف به القيم الانسانية الرفيعة التي يجب ان يتضمنها كل عمل ادبي كبير ، ولا يمكن ان تقصد هذه القيم الجمالية لذاتها ، واذا كنت لا زلت اعتقد ان هذه القيم الجمالية هي التي تميز الادب عن غيره من الكتابات فما ذلك الا لانها تعتبر أقوى وسيلة في فتح ابواب النفوس البشرية امام الاديب وتمكينه من ان يحدث فيها التأثير الخير الذي يجب ان يسعى الى احداثه ، كما ان هذه القيم الجمالية كثيرا ما تعتبر وسيلة مرهفة ، للتعبير عن الظلال والالوان العاطفية والتأملية الدقيقة المرهفة.

واما عن الواقعية الاشتراكية وتأثري بها ، فناتج عن احساسي بحاجة مجتمعنا بل وحاجة الانسانية كلها في مرحلتنا الراهنة ، فهي واقعية تؤمن بالانسان وتثق فيه وتدفعه الى العمل لتحسين مصيره ومصير الانسانية كلها ، والسير بها نحو ما هو افضل واكثر سعادة للبشر ورخاء واطمئنانا ، وانا بطبعي شديد الاحساس بمشاكل الغير ومواضع شكواهم وبودي لو استطعت ان اسهم في اسعاد الجميع .

السؤال الرابع :

باعتباركم واحدا من كبار رواد المدرسة الواقعية الاشتراكية في النقد .. ما هي في رأيكم القيم الاساسية لهذه المدرسة ؟

وما هي مقاييس الحكم لها او عليها ؟

الاجـــابة :

الواقعية الاشتراكية في النقد ، تطالب الاديب بان يكون له هدف مما يكتب ، فلا يهرب من واقع حياته وواقع مجتمعه الى تهويمات الخيال او يتقوقع على نفسه أو يأوي الى برج عاجي يتأمل مجتمعه وانسانيته وهي تحترق عند السفح ، واذا نزل الاديب الى السفح لا تكتفي الواقعية الاشتراكية منه بأن يدعي ان عمله هو تصوير واقع الحياة مع التزام موقف سلبي من هذا الواقع ، بل يجب ان يكون له هدف من هذا التصوير ، وان يوحي الينا بهذا الهدف من خلال عمله الادبي نفسه بطريق غير مباشر حتى لا ينقلب الادب الى خطب منبرية ، ولكن هذا لا يعفيه من ان يكون له رأي في هذا الواقع وتوجيه ازاءه ، أي أن يقول لنا شيئا من خلال تصويره لذلك الواقع ، كما تطالبه بأن يتخير من الواقع ما هو أوسع واعمق جدوى على الناس ، وبخاصة على عامتهم التي تكون عصب الحياة وجمهرتها العظمى ، ثم هي فوق ذلك تسعى الى ابراز مواضع القوة والصحة في المجتمع وافراده ، وتصدر عن روح متفائلة تثق بقدرة الانسان على تغليب عوامل الخير في نفسه بفضل نموه العقلي وتقدمه العلمي وحسن ادراكه لحقائق النفس البشرية وحقائق الحياة الاجتماعية ، وتؤمن فوق كل ذلك بانه اذا كان الخير والشر أصيلين في الانسان الا ان سلامة الحياة الاجتماعية وحسن تنظيمها واقامة العدل فيها كفيلة بان تغلب نزعة الخير في الانسان على نزعة الشر بحيث يثق الانسان في نفسه

ويثق في غيره ثقة تصلح أساسا للعمل الجماعي الخلاق من اجل سعادة البشر .

والواقعية الاشتراكية لا يمكن مع كل ذلك ان تغفل القيم الجمالية في الادب ، لان هذه القيم هي وحدها التي تميز الادب عن غيره من الكتابات كما سبق ان قلنا . وعندما يظن بعض الغافلين ان كتاباتهم يمكن ان تعتبر من الادب الواقعي لمجرد حديثها عن مشاكل المجتمع او صدورها عن هدف أو فلسفة متفائلة مع الجهل المطبق بالقواعد الفنية لكل فن من فنون الادب وطرائق التعبير الفني الجميل بواسطة اللغة ، فانني كناقد لا أملك الا ان احاول ردهم عن هذا الغي وان أدين ما يكتبون وأرفضه ، فالمقياس عندي ذو شقين ، شق يختص بسلامة المضمون ، وشق يختص بجمال الصورة وجمال التعبير ، والاديب الذي يحرم نفسه من القيم الجمالية او يهملها او يعجز عن تحقيقها في عمله الادبي مثله كمثل الجراح الذي يريد ان يجري عملية جراحية في المخ بسكين البصل ، واذا صح ان الاديب جراح العقول ومهندسها، فمن الواجب ان تكون أجهزته مرهفة ، والقيم الجمالية هي التي ترهف هذه الاجهزة .

وهكذا اصبحت اليوم أنقد كل عمل ادبي واحكم له او عليه ، جامعا بين هذين الشقين : شق المضمون والشق الذي نسميه بالصورة او الفورم Form الجمالية .

السؤال الخامس :

الى اي حد كان تأثركم بالجيل السابق من أدبائنا ونقادنا الى جوار تأثركم بالمدارس والمذاهب الادبية والنقدية في الخارج ؟ وما هو تقويمكم للاثار التي خلفها الجيل السابق في ميداني الادب والنقد ؟

الاجابة :

تأثرت قبل سفري الى الخارج بالدكتور طه حسين في الصبر على فهم النصوص العربية القديمة وتذوقها فهو يحذق هذه الامور ، وان كنت أعتقد ان تأثيره الاكبر كان كموجه نحو الثقافة العالمية وبخاصة اليونانية القديمة والفرنسية التي كان ولا يزال يتحمس لها حماسة ظهر اثرها في كتابه اللاحق عن « مستقبل الثقافة في مصر » ، ويريد ان يضم هذه الثقافة الى ما سماه ثقافة البحر الابيض المتوسط بما فيه شماله الاوروبي ، وكان لهذا التوجيه اثره في تشويقي لدراسة هذه الثقافة وتعمقها قدر استطاعتي .

وتأثرنا بالاستاذ عباس محمود العقاد في ناحيتين ايضا ، اولاهما وصلنا ونحن شبان بقضايا الفكر العالمية بفضل مواصلته الدؤوب على مطالعة امهات الكتب العالمية الحديثة باللغة الانكليزية التي استطاع ان يتقنها بنفسه ، ثم قيامه بعرض القضايا الكبيرة التي تتناولها تلك الكتب ومناقشتها .. ولا زلت اذكر انني أفدت كثيرا من كتابيه القديمين : « الفصول » و « مطالعات في الكتب والحياة » اللذين تضمنا مجموعات كبيرة من مقالاته . واما الاتجاه الثاني فقد جاءنا من حملته العنيفة هو وزميله المازني في كتابهما « الديوان » على ادبنا العربي التقليدي ودعوتهما الى التجديد والتطور والتقدم ، فكان العقاد في نظرنا عندئذ من رواد الثورة الفكرية والادبية ودعاة التطور والتقدم ، وقد وجه بذلك مشاعرنا نحو ما عرف باسم شعر الوجدان . فلذلك تراني أعجب اليوم من التطور العجيب الذي طرأ على العقاد شيئا فشيئا حتى اصبح اليوم رائد المحافظين المتزمتين ، الساخطين على كل تطور أو تجديد في ميادين الثقافة والادب والفكر.

وأفدت من ابراهيم عبد القادر المازني وبخاصة من كتابيه « حصاد الهشيم » و « قبض الريح » ومقالاته فائدة كبرى من الناحية الجمالية . فالمازني كان فنانا قبل كل شيء ، بينما كنا نعتبر العقاد مفكرا ، وكم سحرتني روح الدعابة الاصلية عند المازني ورهافة احساسه وصدق تذوقه للادب من ناحية الجمالية .

وأفدت من الدكتور محمد حسين هيكل ومن منهجه التاريخي العلمي في البحث فائدة كبرى وبخاصة من كتابه الاول « في أوقات الفراغ » . ثم تصادف ان وقعت على كتاب فريد لهيكل لا ادري كيف اختفى من تراثنا وهو كتابه عن « جان جاك روسو ـ حياته ومؤلفاته » الذي اصدره في ثلاثة اجزاء صغيرة على ورق جرائد وطباعة سيئة ، ولكني أحسست رغم غضاضة شبابه انه كنز ثمين ، وقرأته بعناية ، بل ودرسته خلال احدى اجازاتي الدراسية في الجامعة ، فأحدث في نفسي ثورة فكرية عارمة لا اظن انني أحسست بمثلها الا عندما قرأت بعد ذلك لاحد رواد الحرية الفكرية الكبار في بلادنا وهو سلامة موسى، وكان أول كتاب قرأته له وتأثرت به أيما تأثر هو « مختارات سلامة موسى » .

ومع كل هذا فانني اعترف بان تكويني الفكري النهائي لم يتم الا في اوروبا وبفضل الثقافة العالمية التي استطعت تحصيلها هناك ، وبخاصة الثقافة اليونانية القديمة والفرنسية ، ثم واصلت الاطلاع فيهما قدر ما تسمح ظروف حياتي العملية بعد عودتي من الخارج لاستفيد من كل ذلك في دراساتي لادبنا العربي وبخاصة ادبنا الحديث والمعاصر الذي يستأثر اليوم بكل جهد .

السؤال السادس :

من الواضح انكم اول من افرد لموضوع « النماذج البشرية » مكانا بين دراساتنا الادبية الحديثة .

ما الذي لفت نظركم الى أهمية هذه الدراسة ؟ ولماذا لم تكثروا من اختيار نماذج بشرية من ادبنا العربي عموما .. والمعاصر خصوصا ؟

الاجابة :

اما الذي لفت نظري الى موضوع النماذج البشرية فقد كان طبعا دراستي في الخارج ، حيث يعنى اساتذة الادب ونقاده بتحليل ووصف النفوس البشرية مجسدة في الشخصيات التي خلقها او سجلها وحللها كبار كتاب القصة والمسرحية شعرا ونثرا .. واذكر انه كان من المقرر علينا في ليسانس الادب الفرنسي تحليل قصة « مدام بوفاري » للقصاص الاكبر غوستاف فلوبير ، وهي القصة التي ربما كانت اقوى واروع ما عرفت الاداب العالمية من قصص ، وكان من بين المراجع التي ارشدنا اليها استاذنا الفرنسي كتاب لناقد كبير اسمه « ديميتيل » وكان عنوان الكتاب «ا لبوفارية » واشتريت هذا الكتاب وقرأته ، فتأثرت به تأثرا كبيرا ، اذ رأيته يحلل فيه باستقصاء شخصية « مدام بوفاري » ويتخذ من تحليله اسسا لفلسفة نفسية عامة سماها « البوفارية » ولخصها في وجود نزعة غريبة مركبة متناقضة في بعض النفوس البشرية التي قد لا تؤمن بشيء ولا ترى للحياة جدوى ، ومع ذلك تشقى بظمأ لا يروي لكافة القيم المثالية المطلقة ، على نحو ما كانت مدام بوفاري . ورأيت في هذا التحليل منهجا أدبيا طريفا حبب الي فكرة دراسة الشخصيات الادبية الخالدة على أساس تأثري اي على اساس تحليل ما توحي الي به هذه الشخصيات من قيم واحاسيس ، وان كنت قد حرصت على ان اظل دائما قريبا من النصوص الاصلية ، حتى تجمع دراستي بين الموضوعية والذاتية ، في كل منسق خال من التعسف او الشطط ، وفي رأيي ان هذا الكتاب « نماذج بشرية » من خير ما كتبت من كتب .

واذا كنت لم اكثر فيه من النماذج المختارة من ادبنا العربي عموما والمعاصر خصوصا ، فذلك لاني لم اعثر في ادبنا على مثل تلك النماذج العالمية بحكم حداثة فن القصة والمسرحية في أدبنا ، ومع ذلك فقد اخترت « ابراهيم الكاتب » للمازني بين تلك النماذج ، وبعد صدور الكتاب حللت بعض النماذج العربية الاخرى كشخصية البرجوازي الصغير احمد عاكف ، في قصة نجيب محفوظ : « خان الخليلي » .

السؤال السابع :

من النادر ان نجد بين نقادنا مثيلا لكم في متابعة انتاجنا الادبي المعاصر خاصة الشعر منذ مطلع هذا القرن حتى اليوم ، وقد تجلى ذلك في سلسلة الكتب التي نشرها لكم معهد الدراسات العربية بالقاهرة ، فهل لنا ان نعرف من نتائج هذه الدراسة الخطوط العامة التي انتهيتم اليها بالنسبة لادبنا المعاصر ؟ وما رأيكم في مستقبل هذا الادب والشعر خاصة ؟

الاجابة :

لقد كنت احس وانا أدرس أدبنا العربي المعاصر عامة والشعر خاصة ، انني أجوس في ادغال يختلط فيها العوسج بالريحان ، ولا تتميز فيها مسالك ، وبشيء كثير من الصبر والاناة واستقصاء النصوص ، أظن انني قد استطعت ان احدد معالم الطريق واشخص خصائص كل مدرسة أو تيار شعري جديد ، فالى جوار مدرسة البعث التقليدية الممثلة في : البارودي وشوقي وحافظ والجارم وعبد المطلب وغيرهم ، أوضحت معالم مدرسة الوجدان الجديدة بشعبها الثلاث المتوازية ، وهي شعبة مطران وشعبة العقاد والمازني وشكري التي سميتها مدرسة الديوان وشعبة المهجر وبخاصة الشمالي منه ، ثم تابعت هذا التيار الوجداني عند جماعة أبوللو بريادة الشاعر احمد زكي ابو شادي وانتهيت اخيرا الى مدرسة الوجدان الجماعي التي نسميها اليوم بمدرسة الاتجاه الواقعي ، كما خططت لتطورات الشعر النسائي وتحرره شيئا فشيئا من التقاليد الخانقة لوجدان المرأة وعاطفتها المشروعة فضلا عن مساهمته في قضايا الحياة العامة وتطورها . واذا كنت قد افردت كتابا من ثلاثة اجزاء لتطور الحركة الشعرية العامة منذ اوائل هذا القرن حتى الان ، فانني قد افردت مع ذلك كتبا خاصة لعدد من شعرائنا وكتابنا المعاصرين الكبار مثل ولي الدين يكن وخليل مطران واسماعيل صبري وابراهيم عبد القادر المازني .

كما تناولت تطور حركة النقد والنقاد وبخاصة نقاد الشعر في سلسلة من المقالات الضافية بمجلة « المجلة » ابتدأتها بالشيخ حسين المرصفي صاحب « الوسيلة » ثم ميخائيل نعيمة صاحب « الغربال » فالمازني فالعقاد ، وأرجو ان تتاح لي الفرصة لاتمام هذه السلسلة وجمعها في كتاب اعتقد انه يكمل كتابي « النقد المنهجي عند العرب » الذي اقتصرت فيه على نقاد العرب القدماء .

واما عن رأيي في مستقبل أدبنا العربي عامة والشعر خاصة ، فاحب ان اعترف بانني من اشد الناس ايمانا باطراد التقدم البشري في كافة الميادين ، وهذا الايمان يشمل مستقبل ادبنا العربي ، فما من شك في انه سيتقدم ويرتفع مستواه في ظل حياتنا الجديدة الاكثر نشاطا وعدالة ، وانا وان كنت لا أتنكر لتراثنا القديم واحرص على ان نتخذه لبنة قوية في اساس الصرح الجديد الذي نريد ان نبنيه ، الا انني لا اقبل الرجعية ولا الجمود ، واعتقد دائما ان يومي خير من امسي وان مستقبلي سيكون خيرا من حاضري ، ولا يمكن ان يضعف من هذا الايمان ثقل السنين مهما تعددت ، واذا كنت قد دافعت عن الشعر الجديد وآمنت بالجيد منه فانني اعتقد ان هذا الاتجاه الجديد سيشتد عوده على مر السنين وتتبلور مفاهيمه بحيث تصفى مما قد يشوبه الان من شوائب .

السؤال الثامن :

الملاحظ انكم من بين القلائل من نقادنا الكبار الذين آزروا حركة الشعر الجديد وتبنوها .. فما الاسس التي استندتم اليها في ذلك ؟ وما مدى تقويمكم لنتائج هذه الحركة وحكمكم على مستقبلها ؟

الاجابة :

من الواضح ان هذا السؤال استمرار للسؤال السابق . واما عن الاسس التي استندت اليها في مؤازرة شعرنا الجديد وتبنيه فهي نفس اسس الشعر الخالدة بمقوماتها الثلاثة ، فالشعر فن جميل يقوم على التصوير البياني وومضات الوجدان وموسيقى النغم اللغوي، على ان تنهض كل هذه المقومات وسط ما نسميه بالجو الشعري . وانا لا اقبل الشعر الجديد كله ، كما انني لا ارفض شيئا من الشعر القديم الجيد ، وابحث في الشعر الجديد عن المقومات التي ذكرتها وعلى اساس وجودها او انعدامها احكم على هذا الشعر أو له ، والشيء الذي ابغضه كل البغض هو ان اغلق روحي ضد كل شعر جديد كما يفعل البعض ، فالقضية هي قضية الشعر في ذاته بصرف النظر عن القالب الطوبوغرافي الذي يصب فيه هذا الشعر ، ولست أدري كيف يجوز ان نغلق الباب امام كل محاولة للتجديد في الشعر او غير الشعر دون فحص لهذا التجديد وحكم عليه أو له وفقا لاصول الشعر الخالدة ذاتها .

رأيي ان محاولات التجديد في الشعر قد اسفرت عن عدد كبير من الدواوين والقصائد والاغاني الجميلة الرائعة مثل دواوين نازك الملائكة ، وبدر شاكر السياب ، وملك عبد العزيز وصلاح عبد الصبور ونزار قباني وسلمى الخضراء الجيوسي ومحيي الدين فارس وكثير غيرهم .

وفي رأيي ايضا ان هذه الحركة التجديدية ليست حركة عارضة او نزوة ستموت ، بل ستبقى وستزداد قوة واصالة ، ما دامت تحافظ على مقومات الشعر الاساسية التي ذكرتها .

السؤال التاسع :

منذ انشىء المعهد العالي للفنون المسرحية وأنتم تحاضرون فيه. وقد كللت هذه الجهود الخصبة بتعيينكم رئيسا لقسم الادب المسرحي بالمعهد ..

ما ثمرات جهدكم في هذا الحقل الذي امتد عملكم فيه خمسة عشر عاما ؟

صدر حديثا :

أعطنا حبا

ديوان جديد للشاعرة المبدعة

فدوى طوقان

دار الاداب — بيروت

وبهذه المناسبة : ما رأيكم في مستوى الانتاج المسرحي والنقد المسرحي لدينا ؟

الاجابة :

قمت في هذا المعهد بتدريس تاريخ الادب المسرحي عند اليونان القدماء رواد هذا الفن، وعند الفرنسيين لعدة سنوات الى جوار تدريسي بنفس المعهد لمادة النقد المسرحي وتاريخه ، ثم تفرغت بعد ذلك للنقد وتاريخه ، وتركت تاريخ الادب لغيري من الاساتذة المنتدبين من الجامعة او من كبار ادبائنا المثقفين ، ويؤسفني انني لم اعمل حتى اليوم على نشر محاضراتي بالمعهد في تاريخ الادب المسرحي عند اليونان والفرنسيين، وان كنت قد نشرت مقالات كثيرة في ذلك مثل سلسلة المقالات التي نشرتها بجريدة الشعب عن « ارستوفان » كبير كتاب الكوميديا والمسرحيات الثلاث عشرة التي تبقت لنا من انتاجه وارجو ان اتمكن من نشرها في كتاب انقاذا لها من الضياع ولما بذلت فيها من جهد ، واما عن النقد وتاريخه فقد استعرت في احد الاعوام من احد طلبتي بالمعهد كراسة محاضراتي واعدت قراءتها وتنقيح بعض جوانبها ثم قدمتها للجنة التاليف والترجمة والنشر فقامت بطبعها في كتاب يسمى « فن الادب والنقد » وقد اصبح هذا الكتاب بعد ذلك من المراجع العامة لدارس النقد وتاريخه عامة والمسرح خاصة في الهيئات الجامعية والمعاهد العليا ثم نشرت بعد ذلك كتابي « الادب ومذاهبه » وفيه عرض واضح لمفاهيم مذاهب الادب كلها منذ الكلاسيكية حتى الوجودية والواقعية الاشتراكية .

وتناولت بعد ذلك تاريخ فن التمثيل الحديث في بلادنا وادبنا التمثيلي وكتبت في ذلك كتاب «المسرح» في سلسلة « فنون الادب » التي تصدرها دار المعارف ، ثم كتبي الثلاثة عن « مسرحيات شوقي و « مسرحيات عزيز اباظه » و « المسرح النثري » وكتاب « مسرح توفيق الحكيم » . وان كنت اعتد اكثر من كل ذلك بمن تتلمذ علي من طلبة اثبتوا بعد ذلك نجاحهم في ميدان التاليف المسرحي والنقد المسرحي في الصحف والمجلات ..

واما عن رأيي في مستوى الانتاج والنقد المسرحي لدينا ففي اعتقادي ان الحملة التي شنت اخيرا على التاليف المسرحي بعضها مغرض صادر عن مدرسة الجمود والبذخ اللغوي والبعض الاخر مثالي يبغي الكمال طفرة واحدة ، واكبر الظن ان هذه الحملة ستدفع الى مزيد من التثقف في هذا الفن ومزيد من الاقبال على دراسة الترجمات التي اخذت تزداد عددا لروائع المسرحيات العالمية . وفي كل ذلك ما سوف يساعد على اقامة التاليف المسرحي في بلادنا على اسس فنية متينة .

واما عن النقد المسرحي فاخشى ان يكون في ميدانه عدد من الادعياء الذين لا تؤهلهم ثقافتهم لتحمل مثل هذه المسؤولية وان كنت لا اجهل ان في حقلهم ايضا عددا يرتفع الى مستوى الاستاذية ، وان كنت اخشى عليهم مما يتعرضون له من حقد او تحامل، وكل ما ارجوه هو ان يصمدوا في الميدان ويستميتوا في الدفاع عن القيم الثقافية والفنية الاصيلة في الاسلوب العلمي الذي يليق بهم . وما من شك في ان البقاء سيكون للاصلح في نهاية الشوط .

السؤال العاشر :

كتابكم « النقد المنهجي عند العرب » يعد تقويما اصيلا للبلاغة العربية بقيمها ومقاييسها .

هل تحسون كناقد ان هذه القيم تصلح لتكوين ناقد او استاذ ادب في عالمنا الادبي المعاصر ؟

الاجابة :

من مراجعة كتابي نفسه بابوابه المختلفة التي تناولت فيها حركة علوم اللغة العربية من بلاغة وفصاحة وبيان وبديع ونقد وموازنة وسرقات، يتضح ان النقد العربي القديم قد انحصر تقريبا في نقد فن واحد من فنون الادب وهو فن الشعر الذي نسميه اليوم بالشعر الغنائي ، ونقصد به شعر القصائد ، بل ان هذا النقد كان لغويا وعروضيا فحسب ، ولم يتناول نقاد العرب القدماء فلسفة الشعر ، كما انهم لم يعرفوا المذاهب القائمة على قيم فكرية او فنية . وادبنا المعاصر لم يعد قاصرا على هذا النوع من الشعر ، بل ظهرت فيه فنون اخرى كبيرة كفن القصة والاقصوصة وفن المسرحية ، كما ظهرت فيه مذاهب واتجاهات تستند الى فلسفات عالية في مجالات الفن والاجتماع ، وكذلك النقد تنوعت مناهجه وفلسفاته ، فمنه التاثري ومنه الموضوعي ومنه الايديولوجي الواقعي الاشتراكي ، واتصل ادبنا المعاصر بمذاهب الادب الغربية ومفاهيمها المختلفة منذ الكلاسيكية والرومانسية حتى الرمزية والواقعية بحيث يمكن القول اننا لم نعد منعزلين عن تيارات الثقافة العالمية وبالتالي لم يعد لنا مفر ولا لاساتذة الادب عندنا من ان يتصلوا بهذه التيارات العالمية ويتعمقوا دراستها بواسطة لغة عالمية يتقنونها ، وفي رأيي انه لاينبغي ان يدخل الجامعة للتدريس فيها مدرس او استاذ لايتقن لغة عالمية واحدة على الاقل ، واقتصرت ثقافته على التراث العربي القديم الذي لم يعد كافيا باية حال لتكوين اديب عصري ، فضلا عن تكوين استاذ جامعي .

السؤال الحادي عشر :

خلال اهتمامكم بالحياة الفكرية كناقد ، تناولتم بالدراسة كل فنون الادب المختلفة من قصة ورواية وشعر ومسرح ..

انت كناقد : اي هذه الالوان الادبية تحس انه الصق بك وأثر لديك ؟

الاجابة :

لا اظن انني افضل بصفة دائمة مطلقة فنا من فنون الادب على الفنون الاخرى ، فكل واحد منها يشبع حاجة من حاجات النفس ، وفي بعض الحالات النفسية المتباينة اراني منجذبا نحو المطالعة في فن من هذه

صدر حديثا :

الطبعة الثانية من ديوان

قصائد عربية

للشاعر سليمان العيسى

دار الاداب ـ بيروت

الفنون دون الاخرين ، كما أن مقتضيات عملي كأستاذ قد تفرض علي في سنة من السنين التفرغ لاحد هذه الفنون دون غيره ، وان كنت اعترف لنفسي انني كثيرا ما اطرب بنوع خاص للجيد من الشعر ولمشاهدة الجيد من المسرحيات ، واما القصص والروايات فهي الميدان الذي يسهل الهجوم عليه ممن يظنونه اسهل هذه الفنون حتى كثر فيه الغث وقل الجيد ؟ وكثيرا ما اغتاظ لقراءة قصص او اقاصيص لا اخرج من قراءتها بمتعة ثقافية او فنية ، واهم بان احطمها ولكنني اعود فأحمل نفسي على الرفق مغلبا نزعة الامل على نزعة اليأس والتشاؤم من بعض براعم الادب وبخاصة اذا احسست ان بداخل تلك البراعم نواة قابلة للنمو والازدهار .

السؤال الثاني عشر :

من القيم الجديدة التي اضفتموها الى رصيدنا النقدي ، مفهومكم عن الشعر المهموس .

ما حقيقة هذا المفهوم ؟ وما النتائج التي خرجتم بها من تطبيقه على بعض الاتجاهات في شعرنا المعاصر ؟

الاجـــابة :

لقد فصلت هذا المفهوم في كتابي « في الميزان الجديد » واخترت له امثلة من شعراء المهجر الشمالي مثل قصيدة « اخي » لميخائيل نعيمة ، وقصيدة « يا نفس » لنسيب عريضة وغيرها . وقصدت بالهمس في الشعر : الصدق والبعد عن الطنطنة الخطابية التي قد توحي بالنفاق وعدم الحرص على حقيقة المشاعر قدر الحرص على التأثير في الناس بالتمويه الكاذب . فالشعر المهموس مناجاة نفسية تنفذ بصدقها وعمقها الى نفوس الغير بحكم المشاركة الوجدانية بين الانسان واخيه او بين المواطن وزميله المواطن ، وهذا الهمس يظهر بنوع خاص في طريقة التعبير واختيار الوزن الملائم ونوعية الاحاسيس والخواطر التي يريد الشاعر ان يهمس بها الى اخيه ومن الواضح اننا لا نتهامس الا بأخص الحقائق واصفاها وبذلك يكون الشعر المهموس هو الشعر الصادق الملخص الذي تتناجى به الارواح ، وكثيرا ما أحس بهذا الهمس الصادق عند شعرائنا الجدد وفيما نسميه الان بالشعر الجديد .

السؤال الثالث عشر :

ما الامكانيات التي يجب ان تتوفر لكل من يتصدى لعملية النقد الادبي والفني ؟

الاجـــابة

من الواضح ان النقد الادبي والفني يتطلب اساسين كبيرين ، أولهما موهبة الحساسية التي تجعل من نفس الناقد مرآة صافية تنعكس فيها القيم الجمالية والثقافية بصورتها الحقيقية غير المشوهة ومن المؤكد ان اية ثقافة لا يمكن ان تجعل من الابله سقراط ، وان نكن من المؤكد ايضا ان الموهبة وحدها لا تكفي ، لان النفس الموهوبة كالارض الخصبة التي لا بد من غرس البذور فيها لكي تنبت وتثمر ، فالناقد لا بد له من ثقافة انسانية واسعة ، لا تقف عند حد ، وان كنت افضل ان تظل هذه الثقافة كالنور الداخلي في نفس الناقد ، فاذا درس الفلسفة وعلم النفس والاجتماع والقانون مثلا ، لا احب له ان يقحم شيئا من هذه الثقافة على نقده فان للنقد الفني اسسه الخاصة به ومنهجه المستقل عن مناهج العلوم الاخرى . والثقافة المباشرة المتصلة بالنقد هي الثقافة اللغوية والجمالية والنقدية ، وهي تتكون في نفس الناقد بوسيلتين : أولاهما : مطالعة ودراسة امهات كتب النقد النظري وفلسفات ومذاهب الادب والفن ومناهج النقد ، وثانيهما دراسة وقراءة روائع المؤلفات الادبية العالمية ودراسات كبار الاساتذة الذين تناولوا هذه المؤلفات بالدراسة والنقد ، كنماذج للنقد العلمي الخلاق .

السؤال الرابع عشر :

من المعروف عنكم غزارة الانتاج فيما يتصل بالنشر في صحفنا ومجلاتنا الادبية ، فالى اي حد تؤمنون بجدوى النشر في هذه الصحف والمجلات وتأثيره في عمليات الانتاج الادبي عموما ؟

الاجـــابة

من الواضح ان الصحف والمجلات والاذاعة هي الوسائل الوحيدة التي يستطيع الناقد استخدامها في نقد الانتاج الادبي المعاصر ومحاولة توجيهه نحو ما هو اكثر خيرا وجمالا ، واما الاقتصار على الكتب في نقد الادب المعاصر بنوع خاص ففي رأيي ان فيه حدا لجدوى هذا النقد وتأثيره ، وبخاصة واننا لا زلنا نشكو من قلة الاقبال على قراءة الكتب . واحب ان اذكر في هذا الصدد انني لست اول من فضل هذه الوسائل من بين النقاد في بلادنا او في بلاد العالم الاخرى المتحضرة ، فجميع كبار النقاد العالميين قد نشروا فصولهم النقدية كمقالات في الصحف او المجلات قبل جمعها في مجلدات ، ويكفيني ان اضرب لكم امثلة بالاحد عشر مجلدا الضخمة التي خلفها كبير النقاد سانت بيف بعنوان « احاديث الاثنين » ثم سلسلة احاديث الاثنين الجديدة ، وكلها كانت مقالات نشرت في الصحف والمجلات قبل جمعها في مجلدات وكذلك « انطباعات المسرح » للناقد جيل لومتر و « اربعين عاما في المسرح » للناقد فرانسيس سارس ، و « الفن المسرحي في همبورغ » للناقد الالماني الاشهر لسنج . وفي نقدنا العربي المعاصر امثلة كثيرة لذلك مثل « حديث الاربعاء » باجزائه الثلاثة للدكتور طه حسين و « من حديث الشعر والنثر » له ايضا ، وكتاب العقاد عن « شعراء مصر وبيئاتهم » فضلا عن فصول نقدية كثيرة في كتب العقاد الاخرى وكتب المازني وهيكل وغيرهم ، فكلها نشرت اولا

قريبا جدا

انا وسارتر والحياة...

اروع ماكتبته المفكرة الوجودية الكبيرة

سيمون دو بوفوار

اجمل قصة عاطفية تربط بين اثنين من

اعظم ادباء العالم المعاصرين

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

منشورات دار الاداب

مقالات في الصحف والمجلات ، وعلى غرارها نشرت بعض كتبي مثل « نماذج بشرية » و « في الميزان الجديد » و « قضايا جديدة في ادبنا المعاصر » .

السؤال الخامس عشر :

لكم ما يقارب الثلاثين كتابا في شتى حقول الدراسات الادبية والنقدية .. اي هذه الكتب تعتبرونه المصدر الاول لمعالم مدرستكم النقدية بصفة عامة ؟

الاجـــابة

اخشى ان تكون الاجابة على هذا السؤال مستحيلة ، وذلك لانني لا اعرف الجمود ، ولم تتحجر مدرستي النقدية في كتاب واحد ، بل تطورت بتطور حياتي وتطور نموي الفكري ، بحيث اذا لم يكن هناك بد من الاجابة على هذا السؤال فلا اقل من ان تسمحوا لي بأن اذكر على الاقل كتابين يمثل احدهما وهو كتاب « في الميزان الجديد » المرحلة الاولى من حياتي وهي مرحلة النقد التأثري الجمالي ، والثاني كتاب « قضايا جديدة في ادبنا المعاصر » الذي يمثل مرحلة النقد الموضوعي الذي سميتموه بالنقد المتأثر بالواقعية الاشتراكية .

السؤال السادس عشر :

المتتبع لدراستكم النقدية يحس على الفور بأن لكم رصيدا من المحاولات الانشائية في الادب . وهذه فرصة طيبة للكشف عن بعض جوانب هذه المحاولات .

الاجـــابة

لقد عالجت الشعر في سن اليفاعة ، واذكر من هذين المحاولات بيتين ساذجين قلت فيهما :

احسان كم كابدت فيك مصائبا ، لم يلقها من المغرمين خلافي
كم جبت شبرا علي بسك التقي والبرد قاس والرياح سوافي

واما في مجال النثر فقد عالجت ايضا القصة والمسرحية والمقالة الانشائية بل وكتبت قصة للسينما بعنوان « الخطيئة » ولكن المخرج الاستاذ بهاء الدين شرف سماها « الهام » واخرجها في فيلم عرض عام ١٩٤٨ . واما القصص والمسرحيات والمقالات الانشائية فلم انشر شيئا منها في كتب وان كنت قد نشرت بعض المقالات العاطفية في مجلة « الثقافة » القديمة مثل مقال بعنوان « الندى » واخر بعنوان « الناي » وثالث بعنوان « النرفانا » ولكن عملي كأستاذ وناقد طغى على كل نشاطي ولعل الخير فيما تم ، فالنقد هو الاخر فن ادبي يستحق التخصص والانقطاع له ومواصلة القراءة والتحصيل ، وكل ذلك فضلا عن دوامات حياتي العامة العاتية التي لم تترك لي فراغا اتوفر فيه على الادب الانشائي الذي لايزال في النفس حنين اليه .

وانا في النهاية اعتبر كتابي نماذج بشرية من الادب الانشائي ، فقد صورت فيه تلك النماذج منتزعا الوان هذا التصوير وخطوطه وقيمه الاخلاقية والانشائية من ذات نفسي ، وكانت تلك النماذج مجرد مشاعل ساعدتني على الكشف عما استقل عبر حياتي وقراءاتي في اعماقها من قيم ومثل واهداف حتى لاحسب ان القاريء النافذ البصيرة يستطيع ان يلتقط ما فيه من قسمات روحي والوان انفعالاتها ، فيخرج من عمله هذا بصورة نفسية حقيقية لي لا اظنه يستطيع استخلاصها من اي كتاب اخر من كتبي ولهذا اراني اعتز بهذا الكتاب بنوع خاص ، واعتبره جزءا لا يتجزأ من ذاتي .

القاهـرة — فاروق شوشه

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينان
او ٦ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ١٠ يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

*

الاعلانات

يتفق بشانها مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الاداب ، بيروت ص.ب ٤١٢٣